17 ème Année No. 842

Lundi — 22 — 8 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨٤٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٧ شوال سنة ١٣٦٨ — ٢٢ أغسطس سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

إبرهيم عبد القادر المازنى

موجة من الأسى غمرت شعورى كله وأنا أقرأ نعى الأستاذ ابرهيم عبد القادر المازنى منذ أيام — لأنه ودع الحياة وفارق أصدقاءه وعجيبه على غير ترقب وانتظار ، أم لأنى قد رأيته وجلست إليه ساعة أو بعض ساعة كانت هى اللقاء الأول والأخير ، أم لأنى قد هاجته مرتين على صفحات « الرسالة » هوماً عنيفاً راعيت فيه جانب الحق وأهملت كل ما عداه ؟ !

ليس من شك فى أن تلك الأمور جميعاً قد تركت فى نفسى إحساساً عميقاً بالأسى لفقده ؛ ومن دواعى الأسف حقاً أن يمسى الأحياء ويصبحون فلا يجدون المازنى بملأ مكانه ، وأن القاه أنا منذ قريب فيتحدث إلىّ وأتحدث إليه ، ثم يشاء القدر أن أهاجمه هجوماً عنيفاً دون أن أعلم أنه قد شدّ الرحال ومضى فى طريقه — إلى لقاء الله !

لقيت المازنى أول لقاء وآخر لقاء بمكتب الأستاذ توفيق الحكيم فى « أخبار اليوم » ، وكان ذلك منذ شهور — وحين دخلت الحجرة لم يكن بها غير بضعة أشخاص ما لبثوا أن استأذنوا مودعين وبقينا نحن الثلاثة : المازنى وتوفيق الحكيم وأنا — ومضينا نطرق من أبواب الحديث ما شاءت السياسة والأدب والفن ، متفقين حيناً ومختلفين حيناً آخر ، ثم شاءت الظروف أن يعرض لمشكلة طال حولها الجدل بينى وبين المازنى حيث قنع توفيق الحكيم بالإنصات ومضى يرقب نهاية الشوط بصبر لا ينفد .

كان — رحمه الله — إنساناً جم الأدب فى نقاشه ، مهذب العبارة ، مشرق اللمحة ، لبقاً فى التخفيف من حدة الجدل بالبسمة العذبة والنكتة البارعة ، ولكن القضية كانت قضية بعدت فيها الشقة بين نظرتين : نظرة الشيوخ ونظرة الشباب ، أو نظرة الأمس ممثلة فى الماضى القريب ، ونظرة اليوم ممثلة فى الحاضر المشهود . وكأنما ضاق المازنى بمجيج محدثه فراح يسأل عنه توفيق الحكيم ! ...

ونظر إليه توفيق الحكيم فى شىء من الدهشة وهو يقول : لقد ظننتك تعرفه حق المعرفة ، ومن هنا لم يخطر لى أن أقدم كلا منكما إلى الآخر ... هذا « فلان » كاتب « التعقيبات » فى الرسالة .

ورأيت المازنى — رحمه الله — يمد إلىّ يده مصافحاً فى حرارة ، مصافحاً المرة الثانية وهو يقول : معذرة ، فأنا أقرأ لك ولا أراك !

ومن العجيب أنك تأثر هنا وتأثر هناك ! ولكن لماذا تهاجم بعض من أعزهم من حين إلى حين ... لماذا تهاجم العقاد مثلاً وفضله على الثقافة والأدب لا ينكر ؟ !

وأجبت وعلى فمي ابتسامة تسجل للمازني معاني الوفاء : ومن قال لك إني أنكر هذا الفضل ؟ أنا أول من يعترف به ، وإذا كنت قد هاجمت العقاد يوماً فلأنني أقدره ، وكذلك الأمر بالنسبة إلى طه حسين وتوفيق الحكيم !

وكأنما أعجب المازني بهذا الجواب فارتسمت مسالم السرور على وجهه ، ثم قال وهو يغرق في الضحك وتغرق معه : هل أفهم من هذا أن ليس لي عندك منزلة هؤلاء السادة لأنك لم تهاجمني حتى الآن ؟ !

فقلت معقباً على اللفتة الرائعة : معاذ الله يا صديقي ، إنك سترغمني إرغاماً على أن أقول عنك ما في نفسي إثباتاً لتقديري لك !

ويهتف المازني والابتسامة العذبة لا تفارق شفتيه : أنا أدري الناس بما يمكن أن تقوله عني ... ستقول إن المازني كان بالأمس خيراً منه اليوم ، وإنه ترك زمرة الأدباء وانضم إلى زمرة الصحفيين ، وإنه يكتب في كل مكان ، ويكتب في كل شيء ، حتى أصبح تاجر مقالات يهمه ملاحقة السوق أكثر مما تهمه جودة البضاعة ، أليس كذلك ؟... ولكن لا تنس أن الأديب في « بلدكم » مجبر على أن يسلك هذا الطريق ليكسب عيشه وعيش أولاده ، وليستطيع أن يحيا حياة كريمة تشعره بأنه إنسان ... ترى هل بقي شيء يمكن أن تقوله ؟

فأجبت وأنا مأخوذ بصراحته المحببة وتواضعه الجم : نعم ، بقي أن أقول إن المازني لم يهتد حتى الآن إلى خير ملكاته ، خيرها على الإطلاق ... لو عرف المازني أن معدنه القصصي من أنفس المعادن لأفسح الطريق لملكته القاصة ، ولغدا في ميدان القصة وهو ثقة من القمم ... لقد قلت ذلك لتوفيق الحكيم أكثر من مرة فكان يوافقني كل الموافقة !

وضحك المازني وهو يقول : هذا حق ، ولكنك تريدني على أن أكون منافساً يسد الطريق في وجه توفيق الحكيم ... لا يا سيدي ، أنا لا أحب أن أقطع أرزاق الناس !

ويهتز توفيق الحكيم من الضحك وأهتز معه ، ويمضي الوقت حافلاً بأسباب الأنس الأنيس والمتعة التي تثمر آفاق النفس والروح !

ويستأذن المازني فأنهض لتوديعه قائلاً له : أنا سعيد بلقائك !

ويشد المازني على يدي بكلتا يديه قائلاً لي : ويسعدني أن يتكرر هذا اللقاء !

ولكن اللقاء لا يتكرر ، ثم تشاء الظروف أن يتوفى رحمه الله مرتين فأهاجمه مرتين : أهاجمه وأنا لا أعلم أنه شد الرحال ومضى في طريقه ... إلى لقاء الله !

لقد كان المازني عالماً من خفة الظل وعذوبة الروح ، وعالماً من سماحة الطبع ونقاء السريرة ، وعالماً من كرم الخلق وغدرة الوفاء ، وكان المازني وكان ... وأصبح كل شيء في عداد الذكريات !

هذه كلمة عابرة تحدد مكان المازني من نفسي ونفوس عارفيه ؛ أما مكانه من تاريخ الأدب العربي المعاصر فله حديث غير الحديث ، ومناسبة غير المناسبة ...

وأهتف مع العقاد في غمرة حزنه ووهج أساه : سلام على إبراهيم ، وسلام على الدنيا !!

(أ . م)

ظهرت حديثاً

الطبعة الثالثة من المجلد الأول من كتاب :

وحي الرسالة

للأستاذ أحمد حسن الزيات

يطلب من دار الرسالة ومن المكتبات الشهيرة

وثمنه ٤٠ قرشاً عدا أجرة البريد